المصدر: السياسى المصرى
التاريخ : ١٩٩٣/٧/١١

د. محمد اسماعيل على يكتب :

ذكريات وانطباعات شخصية مع الرئيس السادات .. وعنه

لماذا رفض السادات خطة التخلص من الجماعات الدينية المتطرفة ؟

تحالف الاخوان والشيوعيين والوفديين وقصة الذئب والخروف والبرسيم

لم يكن ما شاهدته فى الاهرام من تصوير مقالات لارسالها للرئيس ، وما قاله لى المرحوم الدكتور محمود هاشم من ترشيحى وزيرا للاعلام ، مثيرا لفرحى ابدا .. بل على العكس ، اصابنى بالقلق والتوتر .. فلم تجمح خيالى وانا لازلت تلميذا ريفيا فقيرا نحو هذا التصور اطلاقا واقصى ما كنت اتمناه ان اكون كاتبا صحفيا او مذيعا .. المهم ان اعمل فى الاعلام لكن ان اكون (موظفا) مسئولا مسئولية خطيرة مثل مسئولية الاعلام المصرى ، فقد كان هذا خارج نطاق خيالى .. ثم ان صديقى العزيز منصور حسن ، الذى خلا منصب وزير الاعلام باستقالته فى يونيو ، كان فى قمة عطائه وقمة اخلاصه لمصر .. ولم اتصور ، ليس فقط ان اتفوق عليه او اساويه بل مجرد ان ابلغ ما بلغه من حنكة وخبرة ودبلوماسية .

كانت شخصية منصور حسن تطغى على تفكيرى تماما .. وتصورت ان تعيينى يساوى اختيار لاعب مغمور مبتدىء من قرية شبرا النملة ، ليحل محل الخطيب فى نهائى كأس العالم !!

ثم انى اكره اى قيد على حريتى الشخصية فى القول والفكر والحركة .. ومعنى ان اكون وزيرا ، هو ان اوضع فى قفص .. لا اتكلم الا بحساب ولا اتحرك الا بحساب !! كانت صورة طابور الوزراء فى مطار القاهرة صباح مساء لاستقبال ضيف يحل على مصر ، تقلقنى !! وكان اهم من ذلك كله ايمانى المطلق بحرية الراى والفكر .. فهل ينسجم ذلك مع مسئوليتى !! وهل يترك لى الرئيس حرية الحركة والتصرف !! وهل سيرضى عن اجتماعاتى وزياراتى لكل المعارضين له ونقل ارائهم اليه ؟ وهل سيتقبل ما اتمناه من ترك المعارضين يتكلمون فى الاذاعة والتليفزيون فى حوار حر مع شخص كمسئول عن الاعلام !! .

كل هذه التساؤلات والخواطر ثارت فى ذهنى ، وشغلتنى ، وانا اشعر أن مسلك الرئيس معى كان مليئا بالثقة فى شخصى واصراره على ضرورة ان اعمل معه !! .

وكنت احاول ان اجرب مدى استقباله لآرائى التى أصارحه فيها بكل شىء دون اى قيد .. فان رفضها او قبلها ، كان هذا مؤشرا لما يمكن ان يسفر عنه العمل معه .

□ كان دائم الاتصال بى فى البيت ، تليفونيا ، اما ليعلق او يناقش مقالا كتبته فى الاهرام او مايو .. او يتناقش معى فى موضوع عام .. وكان ذلك الاتصال كثيفا فى النصف الثانى من سبتمبر ١٩٨١ ..

وكنت الاحظ انفعاله الشديد ضد بعض المعارضين ، الذين كان يشعر انهم مدينون له بحرياتهم ، وانهم تجاوزوا حدود المعارضة الرشيدة الى الهجوم عليه شخصيا وعلى اسرته .. وكان يشعر ان هذا الموقف سوف تستغله اسرائيل ، وتدعى ان حكمه مزعزع وغير ثابت .. فتتلكأ فى الجلاء فى شهر ابريل ١٩٨٢ ..

صحوت يوما فى السابعة صباحا على صوته ينادينى فى التليفون :

ـ برافوا يا اسماعيل .. مقالك هايل .. انت بتجيب العناوين دى منين !؟

كان المقال الذى أشار اليه الرئيس هو مقال بعنوان (الذئب والخروف والبرسيم) .. حكيت فيه القصة المعروفة ، التى تؤكد استحالة اجتماع الثلاثة ، لان كلا منهم يريد ان يأكل الآخر !! فالذئب يريد الخروف والخروف يريد البرسيم .. وقارنت بين تحالف الاخوان والشيوعيين والوفديين وبين هذه القصة ..

وفى اليوم التالى ، ابلغنى الاستاذ عبدالله عبدالبارى ان (الهانم) معجبة بمقالى .. فلما سألته عن هذه (الهانم) قال

ـ حرم الرئيس .. السيدة جيهان .

والحقيقة اننى انتهزت فرصة هذا (الاعجاب) من الرئيس ، وقررت ان اتقدم خطوة .. (لاختبار النوايا) !!

كان ذلك يوم ٤ اكتوبر ١٩٨١ ، حيث سلمت الرئيس مظروفا كبيرا بداخله ست صفحات فولسكاب ..

□ عرضت فى هذه الرسالة مالم اكن استطيع نشره .. وهو كيف يتخلص الرئيس من الجماعات المتطرفة التى تطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية ..

قلت فى رسالتى انه اذا كان هذا هو هدفهم الحقيقى ، فان الرئيس يستطيع ان يصدر قرار بذلك !! يتبعه ببعض الاجراءات التدريجية ، التى تسندها المادة الثانية من الدستور ، والتى تنص على ان الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ..

وسوف يترتب على ذلك ـ فيما تصورت ـ ان يتم سحب السجادة من تحت اقدام هذه الجماعات وبسقط حجمهم ولايجدون ذريعة لمعارضة السادات .. واستعرضت بعض التفاصيل الخاصة بالاعلام والتعليم .

□ فى صباح السادس من اكتوبر ، اتصلت بالرئيس أساله عن رأيه ، فضحك وقال :

ـ اولا انا مقتنع باللى انت كتبته .. وانا ما عملتش المادة الثانية للزينة .. انا عاملها للوصول لهذا الهدف تدريجيا وبهدوء .. ودا اسلوبى فى التغيير الكبير .. انا قلت لكم فى الاسماعيلية انى

باحطكم على اول درجات الديمقراطية وبعد كده تكملوها بالتدريج ، علشان ما يحصلش فركيشه زى اللى حصلت فى البرتغال ، لو قلت اللى عايز يعمل حاجة يعملها .. انا عارف ان الاحزاب حتحارب بعض وحاتحصل حرب اهلية ..

ادينى عقلك بقى لو قلت قرار بتطبيق الشريعة !! مش حايعجبهم !! انت عارف وفاهم كام جماعة !؟ فيه الجهاد وفيه التكفير وكثير كثير .. دا حايكفر ده .. ودا حايدبح ده .. لازم بالتدريج ..

ـ بس انا شايف يا سيادة الريس ..

فقاطعنى قائلا :

ـ شوف يا اسماعيل ، انا نازل دلوقتى ازور قبر عبدالناصر واروح العرض العسكرى .. وبعد العرض حانتكلم فى الموضوع ده ..

□ ولم يتكلم الرئيس .. ولا اتكلمت انا .. ولكن تكلم الرصاص ، واخترق صدر البطل الاسطورى انور السادات !!

لم اشاهد العرض العسكرى صباح السادس من اكتوبر ، بل كنت منشغلا بمراجعة بروفة مقال للنشر فى الاهرام بعد جمعه وارسال (شرائح) الجمع لى ..

حوالى الساعة ١٢,٣٠ او الواحدة والنصف ، اتصلت بى حماتى (خالتى) قائلة :

ـ إنت شفت العرض العسكرى .
ـ لا
ـ دا السادات انضرب ..
ـ انضرب ازاى !؟

سألت السؤال غير واع بمعناه ولا بمداه !!

قالت : طيارات طلعت بخطوط ملونة ، وبعد كده سمعنا رصاص وانقطع الارسال ..

ارتديت ملابسى واسرعت الى الاهرام .. اتجهت لمكتب الاستاذ ابراهيم نافع ومكتب الاستاذ عبدالله عبدالبارى فلم اجد احدا .. اتجهت لمكتب الاستاذ صلاح منتصر ، فقال سكرتيره الاستاذ (قطب) والدموع فى عينيه :

ـ دا راح مستشفى المعادى ..
ـ الله .... !!ليه ؟
ـ الريس انضرب بالرصاص ..

أحسست ان الارض تبتلعنى .. وان وخزا شديدا فى صدرى .. ولم انطق بكلمة واحدة ..

وبدأت الاذاعة تؤكد ان الرئيس تحت العلاج .. وان فريقا من الاطباء يؤكدون ان الحالة مطمئنة ..

□ لكن صحف السابع من اكتوبر حملت الينا استشهاد البطل ، الذى قاد مصر الى النصر .. اغتيل بطل النصر فى يوم عيد النصر .. فى طريق النصر !! طالته الرصاصات الغادرة ، وهو شامخ شموخ

الابطال .. رافع الرأس ، ممدود القامة كما كان دائما .. يهتف : ليه يا ابنى كده ..

قتله الذين حـررهم .. واغتالـه الذين اخرجهم من السجون .. رفعوه بالرصاص من الارض الى السماء ، عائـدا الى ربه ، يحمل كتابه بيمينه .. هاؤم اقروا كتابيه ..

اطلقـت الانسـان المصرى حـرا .. وهدمت المعتقلات .. اخرجت كل المعتقلين من الاخوان المسلمين ، ابعدت الشيوعيين عن مصر ، اخرجت السوفيت من مصر .. خططت لتحرير سيناء .. اعتمدت على الله وعلى قوة الايمان .. لم يكن معى سلاح كما كان لدى مهزومى يونيو .. لكن كان معى سلاح الايمان ..

حطمـت خط بـارليـف .. هـرب الاسرائيليون امامى .. اول كلمة اطلقناها عنـد العبور (الله اكبـر) .. وهو الاكبـر النـاصر دائمـا .. فـانتصرنـا ثم حـررت الاقتصـاد المصرى .. اطلقـت حـريـة المنافسة الاقتصادية .. حافظت على كرامة مصر .. زرعت الصحراء .. نثرت الخضرة عـلى الـرمـال الصفـراء .. اسست مصر جديدة .. بنيت مدن العاشر من رمضان ، ١٥ مايو ، ٦ اكتوبر ، السادات ..

جعلت همى التحرير .. تحرير مصر وتحرير المصرى .. انشأت الاحزاب .. تركت صحف المعارضة تتلكم بحرية . تنتقد سياساتى .. بذلت كل جهدى لتكون مصر فوق الجميع ..

الآن استريح .. نال منى التعب والاجهاد .. الاجر عندك يارب .. انت

العليم الخبير الرحيم .. انت تعلم مكنون صدرى .. انت الخالق البارىء المصور انت المطلع على خفايا القلوب ..

■■■

كانت فجيعة مذهلة .. لم يفعلها أعداء مصر .. وفعلها ابناء من مصر .. ظللت قابعا فى منزلى .. مذهولا بما أرى واسمع .. أتوقع انقلابا ومذابحا وحربا اهلية ..

ـ قال لى (الترزى) وانا ذاهب اتسلم منه أخر بدلة فصلتها منذ ٨ اكتوبر ٨١ حتى الآن

ـ الحمدلله السادات مات !!

افزعتنى عبارته .. وقلت له مندهشا .. ليه يا راجل !!

قال الرجل بسذاجة مفرطة :

ـ كان بيحارب الدين

□ هكذا كان تفكير البعض من الذين غسلت ادمغتهم افكار التكفير .. وببساطة شديدة صوروا البطل انه كافر .. انه حارب الدين .. هذا الذى كان يصلى ويصوم ، ويشهد الااله الاالله .. والذى كان دائما ما يختم خطاباته بالآية الكريمة « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا .. وهب لنا من لدنك رحمة .. انك انت الوهاب » .

وماذا اقول !؟ هل كتب علينا ان نهتف بحياة قاتلينا وان نزهق حياة محررينا !!

لقد ثبت بعد اكثر من عشر سنوات من اغتيال السادات انه رجل سبق عصره .. سبق جورباتشوف .. وسبق العرب .. كل ماكان يوصف به من خيانة ، اصبح اليوم شرفا !! الجلوس مع الاسرائيليين كان خيانة من السادات .. واليوم اصبح امنية يتمناها الرئيس الفلسطينى نفسه !! كل ما عرضه السادات بخصوص الضفة الغربية ورفضه العرب ، اصبح الآن املا عزيز المنال !!

ذهب السادات ، رجلا سبق عصره .. كرصاصة اطلقها الغدر فى صدر المستقبل ..

وانتقل الى بارئه ، تاركا تابعه قائد الثورة المصرية التى انقضت على المحتلين فى سيناء ..

وتصورت ان حسنى مبارك لن يستطيع قيادة مصر .. تماما كما تصورنا السادات بعد وفاة عبدالناصر .. وتصورناه مرة اخرى عسكريا سوف ينقض بالانتقام والثأر على هذه الخفافيش التى تعيث فى مصر فسادا وإرهابا .. وأن مصر ستشهد عهدا دمويا رهيبا .. كل شىء تصورناه ..

□ اما الذى تصورته نسرا جريحا تولى رئاسة مصر فى احلك ايامها ، فقد كان حمامة سلام ، يحمل غصن الزيتون لكل المصريين .. ففى ايام قليلة ، التأم الجرح .. واجتمع الشمل .. وبدأ ربان الطائر السعيد ينثر حبوب الاستقرار

والثبات على ارض مصر .. حتى بدأ العبور بمصر من التخلف الاقتصادى الى التقدم الاقتصادى .. كانت اشبه بعملية جراحية .. تألم منها المريض .. لكن الشفاء فيها .. والحياة منها .

وايقنت ان مصر ذاخرة بالرجال ، ولود للابطال تحمل ابطالا بعدد الايام فى تاريخها ..

□ واذا كان السادات قد دفع حياته ثمنا لاخلاصه وجسارته وشجاعته واختراقه لجسور الزمن .. فقد دفعت انا من نفسى ثمنا غاليا لإخلاصى لمصر .. وهجومى على اعداء مصر .. دفعته بعد ان تم استدراجى لاحدى البلاد العربية !! وفى مصيدة تم احكامها .. كان عمرى وشرفى فى كفتى ميزان ..

جمال عبد الناصر

جورباتشوف

حسنى مبارك

انور السادات